

H. P. Blavatsky

Trois Propositions de la Doctrine Secrète

Extrait de la Secret Doctrine,
vol. 1, pp 13 à 17 de l'édition originale en anglais

Three Fundamental Propositions of the Secret Doctrine

Extracts from the Secret Doctrine
Vol. I pp.13-17 of the original edition

المبادئ الأساسية الثلاثة للعقيدة السرية (ملخص)

مقتطفات من كتاب العقيدة السرية

هيلينا بتروفنا بلافاتسكي

ترجمة: جهاد الياس الخوري



هیلینا بتروفنا بلافاتسکی 1831-1891

قبل أن يبدأ القارئ بدراسة الستانزا من كتاب دزين الذي يشكل أساس هذا الكتاب، فإنه من الضروري للغاية أن يأخذ بعين الاعتبار بعض المفاهيم الأساسية القليلة التي تكمن وراء كامل نظام الفكر هذا وتنبث فيه والذي يتم جذب انتباهه له.

هذه الأفكار الأساسية قليلة العدد ولا يمكن إدراك كل ما يلي لاحقاً إلا من خلال فهمها بوضوح.

لذلك لا داعي للاعتذار للقارئ بالطلب منه أن يبدأ بالتعرف على هذه المفاهيم الأساسية قبل الشروع في قراءة الكتاب نفسه.

العقيدة السرية تحدد ثلاث مبادئ¹ أساسية:

المبدأ الأول

هناك مبدأ صمدي كليّ الحضور، غير محدود وغير قابل للتغيير ومن المستحيل التكهّن بماهيته لأنه يتسامى على قدرة الإنسان على الإدراك، وكل تعبير أو تشبيه بشريين عنه، لن يؤدي إلا إلى تقليصه وتحجيمه. هو يتعالى على مجال الفكر. وحسب تعبير ماندوكيا، "لا يمكن تصوره ولا يمكن التعبير عنه".

لجعل هذه الأفكار أكثر وضوحاً للجمهور، يجب أن نبدأ بنشر حقيقة وحيدة ومطلقة تسبق كل كائن متجلي، ومحدود.

الترجمة الأساسية هي (مقترحات أو فرضيات) ولكنني فضلت أن¹ أكتب (مبادئ) لأنها هي فعلاً عبارة عن مبادئ بالثيوصوفيا

هذه العلة اللانهائية والأبدية - والتي يتم التعبير عنها بشكل غامض بمصطلح "اللاواعي" و "الذي لا يمكن معرفته" - في نظر الفلسفة الأوروبية الحالية هي - الجذر الذي لا جذر له لكل ما كان، أو كان، أو سوف يكون - هي، بالطبع، تخلو من أي صفة، وبشكل أساسي، ليس لها أية علاقة بالكائن² المتجسد والمحدود.

إنها "الكينونة"³ بدلاً من الكائن (يُدعى في اللغة السنسكريتية باسم- سات) وهي تتجاوز كل فكر أو تكهنات.

يرمز إلى هذه "الكينونة" بكتاب العقيدة السرية بطريقتين:

من جهة أولى، الفراغ المجرد المطلق، الذي يمثل التجريدية المعنوية النقية، وهو الشيء الوحيد الذي لا يمكن للعقل البشري أن يستبعده من أي تصور، ولا أن يدركه كما هو فعلاً بحد ذاته. من جهة ثانية، هو الحركة المجردة المطلقة التي تمثل الوعي غير المحدود.

لقد أظهر مفكرون الغربيون أنفسهم أننا لا نستطيع تصور الوعي بشكل مستقل عن التغيير، والحركة هي التي ترمز بشكل أفضل للتغيير، وإلى خصائصه الأساسية.

مصطلح الكائن المتجسد أو المتجلي، يشمل الإنسان والكون المتجلي² وكل ما فيه من كينونات

³ Be-ness

هذا الوجه الأخير للحقيقة الوحيدة يرمز له أيضاً بمصطلح "النفس العظيم"⁴ ، وهو رمز معبر بدرجة كافية ولا يحتاج إلى مزيد من التوضيح

وهكذا، فإن أول بديهية أساسية للعقيدة السرية هي هذا المطلق الميتافيزيائي المطلق، أو ما ندعوه (بالكينونة) التي يُرمز لها الذكاء المحدود⁵ على شكل الثالوث اللاهوتي⁶.

ومع ذلك، هناك بعض التفسيرات الإضافية مفيدة للدراسة قام بها هربرت سبنسر مؤخراً أدت لتعديل أدريته⁷ إلى حد التأكيد على أن طبيعة "العلة الأولى"⁸ التي يضعها تلاميذ الباطنية والعلوم الخفية في الأصل، وهي أكثر منطقية، في "العلة التي لا علة لها" "الأبدي" و "الذي لا يمكن معرفته" والتي يمكن أن تكون في الأساس هي نفسها الوعي الذي ينبع فينا.

باختصار، فإن الحقيقة اللاشخصية التي تخترق الكون هي نيومن الفكر النقي. هذه الخطوة إلى الأمام من جانبه تجعله قريباً جداً من العقيدة الباطنية والفيدانتيية.

باربراهما (الحقيقة الواحدة، المطلق) هو حقل الوعي المطلق أي هو الجوهر الذي هو خارج أية علاقة بالوجود المحدود وحيث الوجود الواعي هو رمز محدود.

4 The Great Breath

المقصود ذكاء الإنسان المحدود مقارنة بالمطلق⁵

الآب والإبن والروح القدس (في المسيحية) براهما فيشنو شيفا (في الهندوسية).

اللاغنوصية⁷

السبب الأول⁸

ولكن بمجرد أن نغادر بالفكر هذا النفي المطلق (بالنسبة لنا) فإن الثنائية تظهر في تباين الروح (أو الوعي) والمادة، وتباين الموضوع والهدف.

ومع ذلك، لا يجب أن نعتبر الروح (أو الوعي) والمادة، بأنهما حقائق مستقلة، وإنما اعتبارهما فقط كوجهين اثنين أو جانبيين للمطلق (بارابراهما) اللذان يشكلان الأساس للكائن المحدود سواء معنوي تجريدي أو موضوعي.

إذا اعتبرنا هذا الثالوث الميتافيزيائي بأنه الجذر الذي منه تنبثق كل التجليات، فإن "النفس العظيم" يأخذ صفة الفكرة ما قبل الكونية⁹

إنه يشكل مصدر الطاقة وكل الوعي الفردي ويوفر الذكاء الذي يوجه الفكرة الواسعة للتطور الكوني.

من ناحية ثانية، فإن (مولابراكريتي)¹⁰ الجذر الجوهر الماقبل الكوني¹¹ هي وجه للمطلق الذي هو أساس كل المستويات المادية الموضوعية للطبيعة.

فكما أن الفكرة ما قبل الكونية هي أصل كل وعي فردي، كذلك فإن الجوهر ما قبل الكوني هو أصل المادة بكل درجات تمايزها

يتضح مما تقدم أن الأضداد الثنائية الظاهرية بين مظهري المطلق هي ضرورية لوجود "الكون المتجلي"، فلولا الجوهر الكوني لما كان بمقدور الفكرة الكونية أن تتجلى كوعي فردي

⁹ Pre-cosmic Ideation

¹⁰ Mulâprakriti

¹¹ Pre-cosmic Substance

لأنه لا يمكن للوعي أن ينبثق مثل (أنا هو أنا) إلا من خلال أساس أو قاعدة مادية ضرورية كبؤرة يتركز فيها شعاع من العقل الكلّي على مستوى معيّن من التعقيد.

وبدورها، فإنه ولولا الفكرة الكونية لبقى الجوهر الكوني تجريداً خاوياً ولن يصبح بإمكان أي وعي أن يتجلى.

الثنائية هي إذاً متأصلة في "الكون المتجلي" برمته. إنها، إذا جاز التعبير، جوهر وجودها كـ "تجلي". ولكن كما أن أقطاب المعنى والموضوع، الروح والمادة، ليست سوى جوانب من الوحدة الوحيدة التي يتم تركيبها، كذلك في الكون الظاهر يوجد هناك "هذا" الذي يربط الروح بالمادة، الموضوع بالشيء أو بالمعنى.

هذا الشيء، المجهول حالياً للفكر الغربي، يُسمى فوهات¹² من قبل تلاميذ الباطنية. إنه "الجسر" الذي يتم من خلاله طباعة "الأفكار" الموجودة في "الفكرة الإلهية" على الجوهر أو الماهية الكونية باعتبارها "قوانين الطبيعة".

وهكذا، فإن فوهات هي الطاقة الديناميكية للفكرة الكونية، أو من الزاوية الأخرى، هي الوسيط الذكي، الطاقة التي توجه كل التجليات، والتي تعمل على نقل "الفكرة الإلهية" وتجليها من خلال وساطة الديان شوهان، مهندس العالم المرئي.

وهكذا، يأتي وعينا من الروح، أو من الفكرة الكونية. والهيكل (الأجساد) المختلفة التي يصبح فيها هذا الوعي فردياً ويصل إلى الوعي الذاتي أو الوعي المنعكس، يأتي من الجوهر

¹² FOHAT

الكوني (الماهية الكونية). أما بالنسبة إلى فوهات، الرابط الغامض بين الروح والمادة، فهي في تجلياتها المختلفة المبدأ المحيي الذي يعطي الحياة لكل ذرة من خلال إضفاء القوة الكهربائية عليها.

يتيح الملخص التالي للقارئ عرضاً أوضح:

- 1 - المطلق، بارابراهما الفيذانتى، الأحدية المطلقة(سات)¹³ الذي هو بنفس الوقت - كما يقول هيغل، الكائن المطلق واللاكائن.
- 2 - التجلي الأول ، اللوغوس اللاشخصي ، في الفلسفة هو - ، اللوغوس اللامتجلي ، السابق للوغوس المتجلي. إنه "العلة الأولى"، "اللاواعي" لدى الحوليين الأوروبيين.
- 3 - الروح والمادة، الحياة. "روح الكون"، بوروشا وبراكريتى¹⁴ ، أو اللوغوس الثاني.
- 4 - الفكرة الكونية - ماهات¹⁵ - أو الذكاء، روح العالم النيومن الكوني للمادة وأساس لكل العمليات والسيرورات الذكية في الطبيعة، والذي تُدعى أيضاً - ماها بودهي¹⁶ الحقيقة الأحدية، تكون ثنائية في أوجهها في الكون المحدود.

¹³SAT

¹⁴ Purusha-Prakriti

¹⁵ mahat

¹⁶MAHA-BUDDHI

المبدأ الثاني

تؤكد العقيدة السرية كذلك على أزلية الكون ككل، بكونه مخطط دوري لامتناهي "كمجال لأكوان لا حصر لها، تتجلى وتحتجب بغير انقطاع" وتسمى "بالنجوم المتجلية" وكذلك "بشرارات الأبدية".

أبدية الحاج" هو مثل غمضة من عين الوجود الذاتي (كتاب دزين).

إن ظهور واحتجاب العوالم يشبه المدّ والجزر المنتظم الإيقاع.

التأكيد الثاني في العقيدة السرية هو الشمولية المطلقة لهذا القانون من التعاقب الدوري، من التدفق والانحسار، ومن النمو والانحدار، والتي لاحظتها العلوم الفيزيائية وسجلتها في جميع مناحي الطبيعة. إن مثل هذا التناوب نظير اليوم والليل والحياة والموت والنوم واليقظة، هو شائع جداً، وعالمي تماماً وبدون استثناء، بحيث أنه من السهل أن نفهم أننا نرى فيه واحد من القوانين الأساسية للكون على الإطلاق.

المبدأ الثالث

العقيدة السرية تُعلم أيضاً:

هوية المشتركة الأساسية لجميع الأرواح مع الروح الكونية السامية، وهذه الأخيرة هي نفسها وجه للجذر المجهول. والحج هو إلزامي لكل (روح - شرارة) من هذا الجذر المجهول - طوال دورة التجسد (أو "الضرورة") وفقاً للقانون الدوري والكارمي.

وبعبارة ثانية، لا يمكن أن يكون للبودهي الروحي البحث (الروح الإلهية) وجود مستقل (واعي) قبل أن تحقق للشرارة المنبثقة من الجوهر النقي للمبدأ العالمي السادس - أو الروح السامية الأور التالية:

1- أن تمر عبر كل شكل عنصري للعالم الظاهري في هذه المانفانتار

2- تم تكتسب الفردية، أولاً عن طريق الزخم الطبيعي، ثانياً عن طريق الجهود الذاتية والمحرضة ذاتياً (التي تسيطر عليها الكارما الخاصة بها)، وبالتالي ترتقي من خلال جميع درجات الذكاء، من ماناس في أدناها إلى ماناس في أعلاها، ومن المعدن والنبات إلى رئيس الملائكة الأكثر قداسة (الدياني - بودها).

3- العقيدة المحورية للفلسفة الباطنية لا تعترف بأي امتياز أو هبة خاصة للإنسان، باستثناء تلك التي اكتسبها عن طريق

الإيغو الخاصة به وبسبب مجهوده الشخصي وجدارته الشخصية خلال سلسلة طويلة من التناسخ¹⁷ والتقمص.

التيوصوفيا لاتعترف بالتناسخ، أي بتجسد روح إنسانية¹⁷ بالحيوانات. ولكن هنا المقصود هو أن الموناد الإنسانية (الروح) تقيم بالممالك الدنيا (معدنية، نباتية، حيوانية..) قبل أن تقيم بالمملكة الإنسانية.